

حياة أعظم الرسل

محمد الكامل

# مَحْمَدُ الْكَامِلِ

كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
كَامِلَ الْخُلُقِ، وَقَدْ خَاطَبَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ :  
" وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " . فَكَانَ  
الْمُصْطَفَى عَظِيمًا فِي أَخْلَاقِهِ ، عَظِيمًا فِي  
رَحْمَتِهِ عَظِيمًا فِي صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ ، عَظِيمًا  
فِي حُبِّهِ لِلْفُقَرَاءِ ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ،  
وَدِفَاعِهِ عَنْهُمْ ، وَتَفْضِيلِهِمْ عَلَى نَفْسِهِ  
وَأَهْلِهِ .

كَانَ عَظِيمًا فِي عِلْمِهِ الْكَثِيرِ ، عَظِيمًا

فِي ذَكَائِهِ النَّادِرِ ، عَظِيمًا فِي إِيمَانِهِ  
 الْقَوِيَّ ، وَثِقَتِهِ الْكَامِلَةِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ .  
 كَانَتْ الْقُلُوبُ الطَّاهِرَةُ تُحِبُّهُ ، وَتَثِقُ بِهِ ،  
 وَتُصَدِّقُ كُلَّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ ، كَالسَّيِّدَةِ  
 خَدِيجَةَ مِنَ النِّسَاءِ ، وَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ مِنَ  
 الرِّجَالِ ، وَعَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنَ  
 الْغُلَمَانِ .

### الرَّسُولُ مَثَلٌ لِلتَّفَاوُلِ :

كَانَ عَظِيمًا فِي تَفَاوُلِهِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى  
 الْأُمُورِ بِمِنْظَارٍ أَيْضَ ، يُؤْمِنُ بِالْفِكْرَةِ ،

وَيَضَعُ الْخُطَّةَ لِتَنْفِيزِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ ، وَيُنَظِّمُ  
عَمَلَهُ تَنْظِيمًا تَامًّا . وَبِإِرَادَتِهِ الْقَوِيَّةِ ،  
وَلِإِيمَانِهِ بِاللَّهِ ، يُنْفِذُ مَشْرُوعَاتِهِ وَهُوَ مُتَفَائِلٌ  
كُلَّ التَّفَاوُلِ ، وَمُتَأَكِّدٌ كُلَّ التَّأَكُّدِ بِالنَّصْرِ  
فِي النِّهَايَةِ .

قَالَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ  
بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ ( فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ ؛  
لِحِفْظِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَنْعِ الْأَعْدَاءِ مِنْ  
الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ ) . فَعَرَضَتْ لَنَا صَخْرَةٌ فِي  
مَكَانٍ مِنَ الْخَنْدَقِ ؛ لَا تُؤَثِّرُ فِيهَا الْفُتُوسُ ،  
فَشَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَجَاءَ ثُمَّ نَزَلَ

إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَخَذَ الْفَأْسَ ، وَقَالَ بِاسْمِ  
 اللَّهِ ، فَضَرَبَ ضَرْبَةً ، فَكُسِرَ ثُلُثُ  
 الْحَجَرِ ، وَقَالَ : " اللَّهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيتُ  
 مَفَاتِيحَ الشَّامِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَبْصِرُ (لَأَرَى)  
 قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا " . ثُمَّ  
 قَالَ : " بِاسْمِ اللَّهِ " ، وَضَرَبَ ضَرْبَةً  
 أُخْرَى ، فَكُسِرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ ، فَقَالَ : اللَّهُ  
 أَكْبَرُ ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ (بِلَادِ  
 إِيرَانَ) . وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَبْصِرُ الْمَدَائِنَ (مَدِينَةَ  
 كِسْرَى قُرْبَ بَغْدَادَ) وَأَبْصِرُ قُصُورَهَا

الْأَيْضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا . ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ  
 اللَّهِ ، وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَقُلِعَ بَقِيَّةُ  
 الْحَجَرِ . فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، أُعْطِيتُ  
 مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ ، وَاللَّهُ إِنِّي لَا أَبْصِرُ أَبْوَابَ  
 صَنْعَاءَ ( عَاصِمَةَ الْيَمَنِ ) مِنْ مَكَانِي  
 هَذَا .

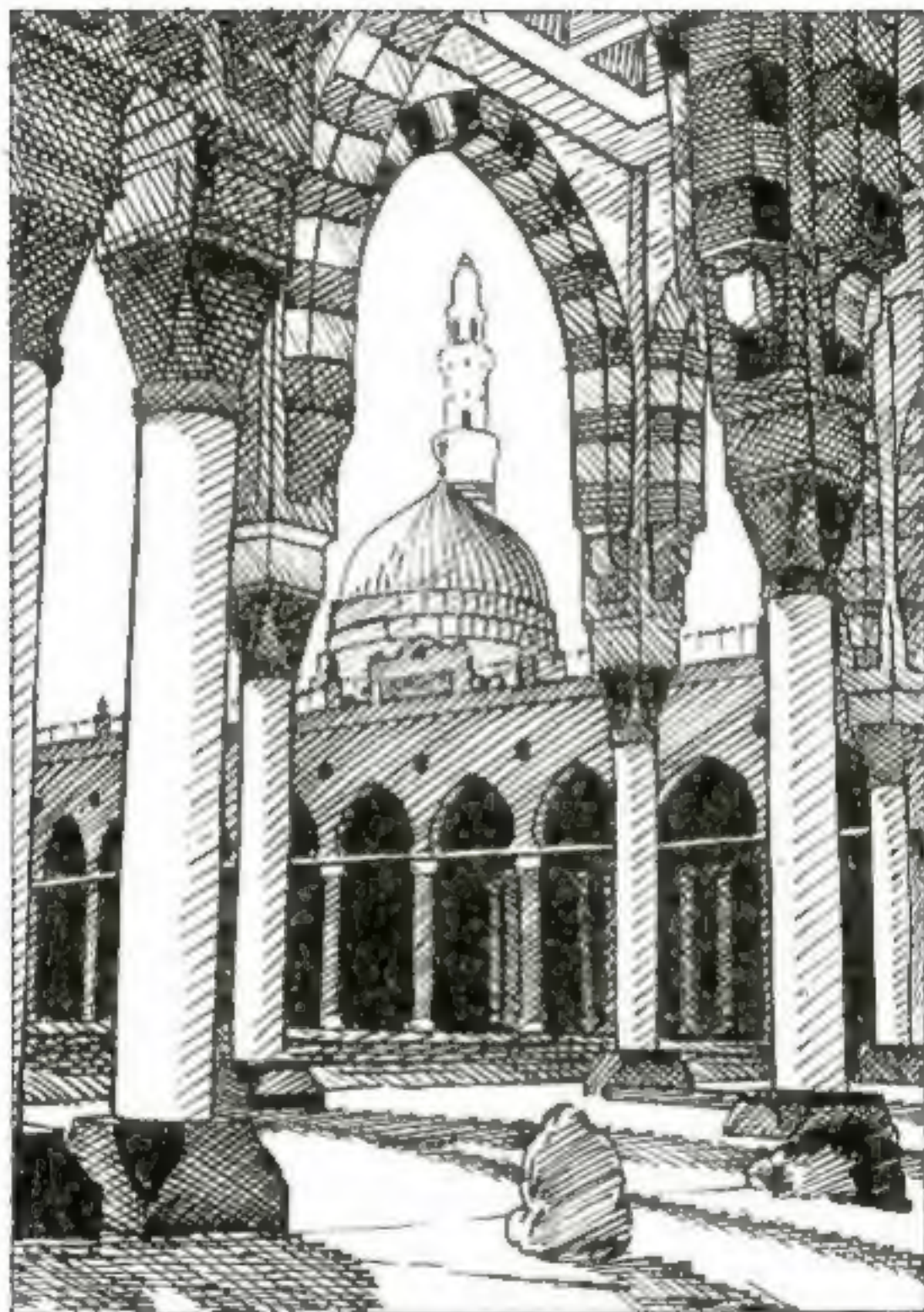
وَبِهَذَا الْإِيمَانِ ، وَبِالثِّقَةِ بِاللَّهِ وَنَصْرِهِ ،  
 وَرُوحِهِ الْمُتَفَائِلِ ، وَشَخْصِيَّتِهِ الْكَامِلَةِ ،  
 وَثَبَاتِهِ النَّادِرِ ، وَمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ  
 يَرَى بِهِ مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ .

— اِطْمَأْنَنْتُ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ ،



فَانْتَصَرُوا فِي النَّهْيَةِ ، وَفَتَحُوا الْعَالَمَ  
 الْإِسْلَامِيَّ ، وَنَصَرَهُ اللَّهُ نَصْرًا لَا مِثِيلَ لَهُ .  
 الرَّسُولُ يُحْسِنُ مُعَامَلَةَ الْأَسْرَى (١) مِنَ الْأَعْدَاءِ :  
 كَانَ مُحَمَّدٌ يُحْسِنُ مُعَامَلَةَ الْأَسْرَى  
 مِنَ الْأَعْدَاءِ ، وَيَرَأْفُ بِهِمْ ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ  
 أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ . فَقَدْ كَانَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ  
 الطَّائِيُّ نَصْرَانِيًّا يَكْرَهُ الرَّسُولَ كُلَّ الْكُرْهِ ،  
 وَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى لَا يُسْلِمَ . وَحَدَّثَ  
 أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَسَرَ أُخْتَ عَدِيٍّ  
 مَعَ الْأَسْرَى ، وَمَرَّ بِهَا النَّبِيُّ ، فَقَامَتْ

\* جَمْعُ أَسِيرٍ ، وَهُوَ مَنْ يُؤْخَذُ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي الْحَرْبِ .



القُبَّةُ الْخَضْرَاءُ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ



إِلَيْهِ، وَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاتَ الْوَالِدُ ،  
وَعَابَ الرَّافِدُ ( أَيْ الْمُعْطَى وَالْمُسَاعِدُ وَهُوَ  
أَخُوهَا ) . فَاْمُنْ عَلَيَّ ، مَنْ اللَّهُ عَلَيْكَ .  
( أَيْ أَنْعِمْ عَلَيَّ ، وَخَلِّصْنِي مِنَ الْأَسْرِ ) .  
ثُمَّ أَعَادَتْ قَوْلَهَا ، فَتَذَكَّرَ النَّبِيُّ مَا كَانَ  
لَأَيِّهَا حَاتِمٌ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْجُودِ  
وَالْكَرَمِ ، فَأَمَرَ بِإِعْطَائِهَا الْحُرِّيَّةَ ،  
وَكَسَاهَا كِسْوَةً حَسَنَةً ، وَأَعْطَاهَا نَفَقَتَهَا ،  
وَأَرْسَلَهَا مُعَزَّزَةً مُكْرَّمَةً مَعَ أَوَّلِ  
الْمُسَافِرِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا قَابَلَتْ أَخَاهَا  
عَدِيًّا هُنَاكَ ذَكَرَتْ لَهُ مَا فَعَلَهُ مُحَمَّدٌ

مَعَهَا ، وَمَا أَكْرَمَهَا بِهِ ، وَالطَّرِيقَةَ الَّتِي بِهَا  
أَحْسَنَ مُعَامَلَتَهَا .

فَرَجَعَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ إِلَى الرَّسُولِ ،  
وَهُوَ مُتَأَثِّرٌ بِنُبْلِهِ ، وَعَظْفِهِ الْجَمِيلِ ،  
وَمُعَامَلَتِهِ الْكَرِيمَةِ لِأَخْتِهِ حِينَمَا كَانَتْ  
أَسِيرَةً . ثُمَّ أَسْلَمَ فِي الْحَالِ ، وَانْضَمَّ إِلَى  
صُفُوفِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

عَظْمَةُ الْمُصْطَفَى فِي زُهْدِهِ وَقَنَاعَتِهِ :

كَانَ الرَّسُولُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ كَمَا  
يَعِيشُ الْمُلُوكُ فِي قُصُورٍ وَاسِعَةٍ ، وَيَحْيَا

حَيَاةٌ يَجِدُ فِيهَا كُلَّ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ  
وَالنَّعِيمِ، وَلَكِنَّهُ زَهَّدَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ،  
وَعَاشَ كَمَا يَعِيشُ الْفُقَرَاءُ . وَكَانَ قُدْوَةً  
لِغَيْرِهِ فِي أَنْ يَحْرِمَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ ، وَأَقْرَبَ  
النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَيُفَضِّلَ عَلَيْهِمُ الْفُقَرَاءَ  
وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فَكَانَ يَكْتَفِي مِنَ الطَّعَامِ بِالْبَلَحِ  
وَالْمَاءِ وَخُبْزِ الشَّعِيرِ ، وَلَا يَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ  
( سَرِيرِ ) مِنَ الْحَرِيرِ ، بَلْ يَنَامُ عَلَى  
الْحَصِيرِ ، وَيُعْطَى الْيَتَامَى وَالْمُحْتَاجِينَ كُلَّ

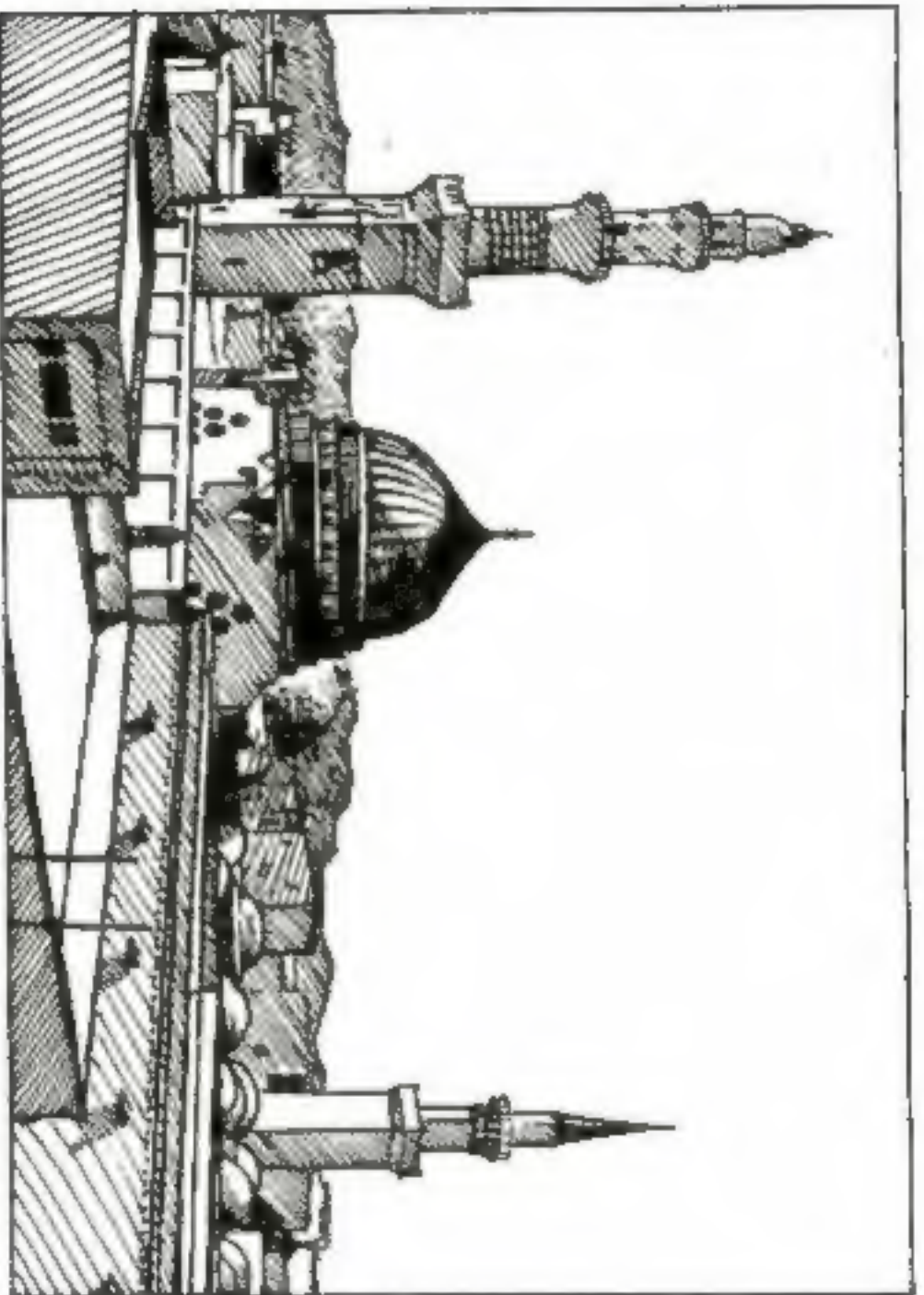
مَا يَصِلُهُ مِنَ الْمَالِ . كَانَ يُفَكِّرُ فِي غَيْرِهِ  
وَيَنْسَى نَفْسَهُ . فَكَانَ مَثَلًا عَالِيًا لِلْقَنَاعَةِ  
وَالزُّهْدِ . فِي يَدِهِ خَزِينَةُ الْمَالِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ  
وَمَعَ هَذَا قَدْ فَضَّلَ إِعْطَاءَ الْفُقَرَاءِ ، وَعَاشَ  
كَمَا يَعِيشُونَ .

وَذَاتَ يَوْمٍ زَارَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ  
رَسُولَ اللَّهِ فِي بَيْتِهِ ، فَوَجَدَهُ نَائِمًا عَلَى  
حَصِيرٍ خَشِينٍ ، وَقَدْ أَثَّرَ الْحَصِيرُ فِي  
جَنْبِهِ ، وَوَجَدَ عَلَيْهِ ثَوْبًا لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ،  
وَرَأَى مِقْدَارًا صَغِيرًا مِنَ الشَّعِيرِ فِي نَاحِيَةِ



مِنَ الْحُجْرَةِ، فَتَأَثَّرَ عُمَرُ مِمَّا رَأَاهُ ، وَنَزَلَتْ  
الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ . فَقَالَ الرَّسُولُ : مَا  
(الَّذِي ) يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟

فَقَالَ عُمَرُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَمَا لِي لَا  
أَبْكِي ؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ ،  
وَلَيْسَ عَلَيْكَ غَيْرُ ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَلَا أَرَى  
فِي هَذِهِ الْحُجْرَةِ إِلَّا مِقْدَارًا قَلِيلًا مِنْ  
الشَّعِيرِ . وَذَلِكَ كِسْرَى ( مَلِكُ الْفَرَسِ ) ،  
وَذَلِكَ قِصْرُ ( مَلِكُ الرُّومِ ) يَعِيشَانِ فِي  
الثَّمَارِ وَالنَّعِيمِ ، وَالثِّيَابِ الْغَالِيَةِ ، وَأَنْتَ



القبلة الخضراء والمئذنة الرئيسية

نَبِيُّ اللَّهِ الْمُخْتَارُ .

فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
 " يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ  
 لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا " ؟

وَفِي يَوْمٍ اشْتَكَّتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ بِنْتُ  
 الرَّسُولِ ، وَزَوْجَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،  
 مِنْ تَعَبِ يَدَيْهَا مِنْ إِدَارَةِ الرَّحَى ، فَبَلَغَهَا  
 أَنَّ النَّبِيَّ جَاءَهُ بَعْضُ الْأَسْرَى ، فَذَهَبَتْ  
 إِلَى أَبِيهَا تَطْلُبُ مِنْهُ خَادِمًا يُسَاعِدُهَا فِي  
 أَعْمَالِ الْبَيْتِ ، فَلَمْ تَجِدْ أَبَاهَا ، فَذَكَرَتْ

ذَلِكَ لِلسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ زَوْجَةَ النَّبِيِّ ، فَجَاءَ  
النَّبِيُّ ، فَذَكَرَتْ عَائِشَةُ لَهُ ذَلِكَ . فَذَهَبَ  
الرَّسُولُ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ . وَبَدَلًا مِنْ أَنْ  
يُرْسِلَ إِلَى ابْنَتِهِ خَادِمًا ، نَصَحَ لَهَا وَلِابْنِ  
عَمِّهِ أَنْ يَقُولَا قَبْلَ النَّوْمِ : اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا  
وَتِلَاثِينَ مَرَّةً ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ثَلَاثًا وَتِلَاثِينَ ،  
وَسُبْحَانَ اللَّهِ ثَلَاثًا وَتِلَاثِينَ . فَهَذِهِ الْعِبَادَةُ  
لِلَّهِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَبَاهُ .

### الرَّسُولُ وَالْجُوعُ :

وَذَاتَ مَرَّةٍ خَرَجَ الرَّسُولُ الْكَامِلُ مِنْ  
الْمَسْجِدِ ، فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ،



فَسَأَلَهُمَا عَنْ سَبَبِ خُرُوجِهِمَا، فَقَالَا :  
أَخْرَجَنَا الْجُوعُ .

قَالَ : وَمَا أَخْرَجَنِي إِلَّا الْجُوعُ .  
فَذَهَبُوا إِلَى أَبِي الْهَيْثَمِ ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِشَعِيرٍ ،  
وَقَامَ إِلَى شَاةٍ فَذَبَحَهَا . وَقَدَّمَ لَهُمْ مَاءً  
عَذْبًا مُعَلَّقًا عِنْدَهُ فِي نَخْلَةٍ . ثُمَّ أَتَوْا  
بِالطَّعَامِ ، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا ، فَقَالَ  
الْمُصْطَفَى : (سُنْسَأَلُ) عَنْ نَعِيمِ هَذَا الْيَوْمِ .  
وَهَذِهِ بَعْضُ الصُّورِ مِنْ زُهْدِ مُحَمَّدٍ  
الْكَامِلِ ، وَقَنَاعَتِهِ .